

التعليم ورهانات العولمة في الجزائر

أ. محمد العربي رحومة جامعة حمة لخضر الوادي

rehouma-mohamedlarbi@univ-eloued.dz

د. معمر قول جامعة حمة لخضر الوادي

ملخص:

إن قضية المدرسة هي قضية مهمة في مجتمعنا، وعلى أساسها يكتسب التعليم أهمية كبرى؛ لأنه أصبح رهان دول العالم اليوم من أجل تحقيق التنمية والنهوض والتقدم. والجزائر من الدول النامية التي تحاول أن تصنع لنفسها مكانة عالمية، فالأمر يصبح مرتبطا بضرورة تكيف المنظومة التربوية مع المجتمع الجديد ووفق متطلبات العولمة؛ التي باتت تؤثر على شخصية الفرد من خلال انسلاخه عن قيم ومبادئ وتقاليد وعادات أمته وإلغاء كيانها وذوبانها في الآخر.

فالتحدي إذا هو محاولة إيجاد علاقة جديدة بين التعليم والمجتمع حتى تستجيب للقضايا الراهنة، وتحفظ بخصوصية الأمة وفكرها وقيمتها ومبادئها، وذلك لا يتم إلا بإصلاح المنظومة التربوية الوطنية والتصدي لكل اختراق ثقافي فكري ينفذ إلى المجتمع من خلال الآثار السيئة للعولمة. ومن هنا نطرح الإشكاليات التالية: ما هو واقع التعليم في الجزائر في ظل تحولات العولمة؟ وما هي أهم تحديات العولمة على مدرسة المستقبل ودورها في التنمية الاجتماعية؟

الكلمات المفتاحية: المدرسة، العولمة، المجتمع.

Education and the stakes of globalization in Algeria

Abstract :

The issue of school is an important issue in our society, on the basis of which education is of great importance, because it has become a bet today in the world to achieve development and advancement and progress. Algeria is a developing country that is trying to create a global position for itself. It is linked to the need to adapt the educational system to the new society and to the requirements of globalization, which is affecting the personality of the individual by breaking away from the values, principles, traditions and customs of his nation and the abolition of its entity and dissolve in the other.

The challenge, then, is to try to create a new relationship between education and society in order to respond to current issues. This is done only by reforming the school and addressing every cultural breakthrough in society through globalization. Hence the following problems: What is the reality of education in Algeria in the light of the transformation of globalization?

Keywords: School, Globalization, Society.

مقدمة:

إنّ إحدى مصادر القوة الأساسية بالنسبة للفرد والمجتمع هي مدى الاهتمام بالمدرسة بمختلف إجراءاتها ووسائلها، وهذا ينسحب على كافة المجتمعات المتقدمة منها والنامية، ومن هنا كان التأكيد على توفير فرصة للتعليم بشتى صورها من مبدإ اليقين بأنّه كلما نمت قدرات الفرد وإمكانياته كلما أدى ذلك إلى تقدم المجتمعات وقوتها، ولعلّ الذي حفز الأمم والدول وخاصة النامية وجعلها تعتمد على التعليم وتوسع فيه، هو مستوى التقدم والتطور في منظومة التعليم الذي وصلت إليه الأمم المتقدمة.

وعلى هذا الأساس فإنّ أهم شيء في أي إصلاح تربوي أو اجتماعي إنّما يتمثل في مدى إتباع الأسلوب في التفكير والتنفيذ والتربية والتعليم كعملية وممارسة، موضوعها الإنسان في صورته الاجتماعية وهي تستند إلى أصول وقواعد وتحكمها نظريات وأساليب تستند على أسس علمية. فعملية التعليم في أي مجتمع تستهدف في المقام الأول إسعاد الفرد والارتقاء بالمجتمع، وعليه فالعلاقة وثيقة بين التربية والتعليم والمجتمع بكل ما يمثله من حركة وأنساق ونظم وظواهر ومشكلات وما إلى ذلك من مكونات.

فالتحدي إذا هو محاولة إيجاد علاقة جديدة بين التعليم والمجتمع حتى تستجيب للقضايا الراهنة، وتحفظ بخصوصية الأمة وفكرها وقيمتها ومبادئها، وذلك لا يتم إلا بإصلاح المنظومة التربوية الوطنية والتصدي لكل اختراق ثقافي فكري ينفذ إلى المجتمع من خلال الآثار السيئة للعولمة. ومن هنا كان طرح الإشكالية التالية: ما هو واقع التعليم في الجزائر في ظل تحولات العولمة؟ وما هي أهم تحديات العولمة على مدرسة المستقبل ودورها في التنمية الاجتماعية؟ وإجابة لهذه التساؤلات آثرنا أن تكون المداخلة وفق الخطة المكونة من مقدمة وثلاث مطالب وخاتمة كما يلي:

المطلب الأول: مدخل مفاهيمي حول التربية والتعليم والعولمة.

المطلب الثاني: واقع التربية والتعليم في الجزائر.

المطلب الثالث: أهم تحديات العولمة المرتبطة بتطور التربية والتعليم.

خاتمة تحوي أهم التوصيات والنتائج.

ولدراسة هذا الموضوع استخدمت المنهج الوصفي التحليلي، وهو ما يناسب مثل هذه الدراسات التي نصف فيها حال المدرسة والتعليم في الجزائر وما آل إليه وما اعتراه من خلل ونقص، ومن ثم تحليل الأسباب التي أدت إلى ذلك كله، لكي نستطيع في الختام وصف الدواء وإعطاء الحلول الناجعة للنهوض بالمنظومة التربوية الجزائرية واضطلاعها بمهامها في تحقيق التنمية والنهضة، وذلك من خلال أبنائها الذين تصنعهم على عينيها ووفق مناهجها المدروسة بعناية، والمعدة من طرف أكفاء أخصائيين من أهل الخبرة في الميدان التعليمي.

المطلب الأول: مدخل مفاهيمي حول التربية والتعليم والعولمة.

إن مطلب القضاء على الأمية واللاحق بركب الأمم المتقدمة يحتم علينا النظر مليا فيما للتربية من أهمية، فهي صانعة للإنسان، وهذا يحتم علينا فهمها في إطارها الشامل، وكذا فهم عملية التعليم والتفريق بينهما، ثم العبور إلى كشف اللثام عن مفهوم العولمة، وذلك كله من أجل تطوير عمليات البحث العلمي، وتجديد طرق التعليم وتطويرها وفق متطلبات العصر بما يواجه تحديات العولمة الغربية.

1- مفهوم التربية:

إن مفهوم التربية له العديد من المعاني و الدلالات، فمن حيث الدلالة اللغوية ترادف التربية لفظ "التنمية"، وعلى هذا الأساس تصبح علاقتها بالمدرسة علاقة محدودة، وليس علاقة مطلقة كما هو الشائع؛ لأن « التربية تبدأ والإنسان جنين في بطن أمه، وهي تمتد معه طوال حياته، لأن حياته تعني إحتكاكه وتفاعله بالناس والأشياء، فيؤيدان إلى تعديل في السلوك على نحو من الأنحاء »¹⁵.

وهذا التعديل في السلوك يكون إما إلى الأحسن، أو إلى الأسوأ، ولكنّه في الحالتين تعديل، وهو تعديل ناتج عن تربية، قد تكون مقصودة مثل التربية المدرسية، أو غير مقصودة مثل التربية اللامدرسية في الشارع أو المسجد مثلا. وعادة ما ينظر إلى علم التربية على « أنه علم تطبيقي، على أساس أنه علم يطبق أو يوظف المبادئ و القوانين المأخوذة من علوم أخرى مثل علم النفس، علم الاجتماع، وعلم الإدارة، وعلم الإقتصاد.. الخ لصالح تنمية الشخصية الإنسانية بكافة جوانبها »¹⁵.

وقد اختلفت تعريفات التربية، وهذا منذ القدم؛ ففي العصر الإغريقي مثلا حُددت التربية على أنها الكمال والجمال للجسم وللنفس البشرية، وكذلك بأنها العملية التي تُعد الإنسان للتعلم، وتعددت بعدها التعريفات، ففي العصر الحديث نجد أن أكثر التعريفات تداولها هو تعريف "جون ديوي" حيث يرى أن التربية « ليست سوى خبرة تنشأ عن خبرة، إلى مزيد من الخبرة، وهو يربط بين الخبرة والنمو على أساس أن زيادة الخبرات تؤدي إلى زيادة النمو »¹⁵، فالنمو هو هدف التربية في رأي "جون ديوي".

وجل التعريفات الحديثة للعملية التربوية تشير إلى تأكيد المعنى الخاص بأنها: « عملية تنمية الشخصية الإنسانية في جميع مجالاتها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، عن طريق إحداث تغير موجه أثناء تفاعل الفرد مع بيئته، في سبيل تحقيق أهداف محددة »¹⁵، وعندما حاولتنا حصر مفهوم للتربية، سنحاول حصر مفهوم التعليم، لارتباط التربية بالتعليم، فقبل أن يكون هناك تعليم تكون التربية.

2- مفهوم التعليم:

إنه بشرحنا لمفهوم التعليم فإن الكثير من الغموض واللبس يزول، فيخلط البعض بينه وبين مصطلح التربية، وخاصة أن كليهما يشار إليه بالانجليزية بكلمة واحدة " Education " .

والمفهوم الاصطلاحي لمصطلح التعليم هو: " النقلة الحضارية لكل أمة من الأمم تسعى إلى النمو والرفي" ¹⁵.

ويكشف مفهوم التعليم عن عملية تربوية تتم داخل وسائط التربية النظامية، وبالتالي يصبح مفهوم التعليم يرادف التربية النظامية، وبدقة أكثر « فإن مفهوم التعليم يشير إلى العملية التربوية، ولنسميها الآن العملية التعليمية التي تتم داخل المؤسسات التعليمية الرسمية (المدارس، المعاهد، الجامعات، مراكز التدريب... الخ) » ¹⁵. ويُقسم التعليم إلى تعليم غير مقصود: وهو ما يحدث في المؤسسات الاجتماعية كالأُسرة والمسجد والمجتمع ووسائل الإعلام المختلفة ، وتعليم مقصود: وهو ما يحدث داخل المؤسسات التربوية كالمدارس والمعاهد والجامعات ، وهو تنظيم مقصود ومخطط له في شكل مناهج دراسية تشمل مقررات دراسية متنوعة ضمن نظام تربوي معين تخططه هيئات مسئولة وينفذه المعلمون والمديرون والموجهون وذلك خلال فترة دراسية معينة.

ولا بد من أن يكون التعليم هادف وموجه ويمكن التحكم فيه. ومن ثم يمكننا أن نقول أن التعليم هو: " الوسيلة التي تستخدمها الأمم في تكوين أبنائها في جميع المجالات، وعلى كل المستويات، هذا التكوين الذي يشمل تعليمهم بعقائدهم ومبادئهم وتراث أمتهم، ورؤيتها العامة للحياة، كما يشمل على تزويدهم بالخبرات والمهارات التي تمكنهم من فهم عصرهم، والإسهام في دفع عجلة التقدم... " ¹⁵.

3- الفرق بين التربية والتعليم:

إن العلاقة بين التربية والتعليم علاقة متكاملة الأهداف والغايات، ولا يمكن الفصل بينهما إلا لضرورة ما، فالمحور الأساسي الذي تقوم عليه هو الإنسان، وترابطه بجذوره، وتفاعله مع مجتمعه وأمته، فإذا تم إهماله فإن النتيجة فساد المجتمع بأكمله، فالتقدم والرفي لا يتحققان بالمال ولا بالسياسة وإنما بإعداد جيل مثقف، وواع، وقادر على فهم المشكلات وما حوله من أمور، وحلها بطرق سلمية بعيداً عن المشكلات والتعقيدات. إن التربية هي أداة التغيير، والتعليم أداة البناء فكلاً منهما يسعى لتحقيق مستقبل أفضل، فالتعليم يهدف لتحصيل المعرفة، والإطلاع على القوانين، والتدريب على مهارة ما، أما التربية فهي مفهوم واسع وشامل.

إن التعليم هو زيادة رصيد في المعارف أو المهارات وهو بذلك جزء من التربية، التي هي أشمل، فقد يحتوي معناها جميع المؤشرات والخبرات والوسائط التي تؤثر في سلوك الناس، وهذا التأثير يكون داخل المدرسة أو خارجها، سواء كانت التربية مقصودة أو غير مقصودة، وبهذا فإن التربية هي أشمل من التعليم والسبب في ذلك أنها تحدث في المجتمع ككل، والمدرسة هي جزء من المجتمع.

4- مفهوم العولمة:

استعمل هذا المصطلح لأول مرة عام 1968م من طرف الكاتب مارشال مكلوهان في مؤلفه: الحرب والسلام في القرية العالمية¹⁵.

وقد اختلف العلماء حول تحديد مفهومها؛ فمن قائل أنها قديمة قدم الإنسان، ومنهم من اعتبرها ظاهرة جديدة صاحبت التطور التكنولوجي في القرن العشرين.

4-1- العولمة لغة:

وهي مأخوذة من كلمتين: أولها من لفظ "عالم" والعالم جمع عالمون أي الخلق كله¹⁵. وثانيها من لفظ "عالمية" والعالمية كما قال الزجاج "كل ما خلق الله"¹⁵. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:164]، والعولمة من التعولم وهي الشمولية، أي ما يخص عالم الأرض¹⁵. صيغتها الصرفية واحدة وهي: فوعلة، والعولمة تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى مثل "قولبة" من قولب، أي وضع الشيء في صيغة قالب. وعلى هذا الاعتبار العولمة تعني وضع الشيء على مستوى العالم¹⁵. والعولمة ترجمة لكلمة "mondialisation" الفرنسية التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة. وهي أيضا مأخوذة من الكلمة الانجليزية "globalization" والتي تعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل. وبهذا المعنى يمكن القول بان العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل الجميع أي العالم كله¹⁵.

4-2- العولمة اصطلاحا:

مصطلح العولمة جديد في طرحه الآن في هذه المرحلة لكن التخطيط له بدأ منذ وقت مبكر¹⁵. وتعتبر العولمة من الظواهر الكبرى ذات الأبعاد والتجليات المتعددة، والظواهر الكبرى توصف أكثر من أن تعرف¹⁵. كان ظهورها الأول في مجال الاقتصاد؛ إذ هي اتساع مجال، أو فضاء الإنتاج والتجارة ليشمل السوق العالمية بأجمعها يقودها فاعلون اقتصاديون من نوع جديد¹⁵.

والعولمة كلمة جديدة تعبر عن تطورين هامين هما: 1- التحديث (modernité). 2- الاعتماد المتبادل (interdépendance). ويرتكز مفهوم العولمة على التقدم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية بالإضافة إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة على الساحة الدولية¹⁵.

ومن التعاريف المهمة التي تُجلى مفهوم العولمة بشكل كبير جدا تعريف هانس بيتر مارتن وهرالد شومان بأن العولمة هي: "الأزمة الجديدة التي انخدع العالم بها، والتي تمثلت في نشر الخوف المُميت وتفكيك وحدة التراب الوطني، وذلك بقيادة الدول القوية التي ساهمت في قيام هذا النظام العالمي الجديد من أجل جعل الثقافات العالمية تحت نمط واحد"¹⁵.

من خلال هذا التعريف نفهم أن العولمة كونها أزمة جديدة تحمل سمات الخداع، والتي تعرض لها العالم من خلال مروره بمراحل الخوف والتشتت بكل أنواعه، وذلك تحت زعامة الدول القوية كالولايات المتحدة الأمريكية التي كان همها الوحيد الوصول بالبشرية إلى فكرة التتميط خاصة في العادات والتقاليد.

بينما الدكتور محمد عمارة يقول: " إنَّ العولمة هي اجتياح الشمال للجنوب اجتياح الحضارة الغربية ممثلة في النموذج الأمريكي للحضارات الأخرى وهي تطبيق العملي لشعار "نهاية التاريخ" الذي أرادوا به الإدعاء بأنَّ النموذج الغربي الرأسمالي هو " القدر الأبدي " للبشرية جمعاء، وهو تطبيق يستخدم في عملية الاجتياح أسلوب " صراع الحضارات" الذي يعني في توازن القوى الراهن أن تصرع الحضارة الغربية ماعداها من الحضارات"¹⁵.

ويرى المسيري أن العولمة هي تذويب للخصوصيات القومية والدينية، أي أنه اتجاه يعادي أي نوع من القيم سواء كانت قيمة قومية إثنية أو قيمة إنسانية دينية، فهي " تستند إلى مجموعة من القيم المادية والتي تنفي الخصوصية الإنسانية، وتحاول في ذات الوقت أن تطرح رؤى تدور حول السوق، الكباريه، السوبر ماركت، السياحة، وهكذا، أي أنها تدور حول القيم التي جوهرها الإنسان الاقتصادي والإنساني الجسماني"¹⁵، فهي تستغل المعلومات الكونية لتعميم وترويج القيم والثقافة الغربية.

المطلب الثاني: واقع التربية والتعليم في الجزائر

بالرغم من كل الإصلاحات التي أدخلتها المنظومة التربوية منذ الاستقلال في منظومتها التربوية، إلا أن مشروعاتها التربوية لم يكتب له النجاح بل بقي حبيس الآلية والجمود. ومن هنا راحت تبحث عن الكفيل لهذه العملية التربوية، فكان أول ما قامت به تبنيها لثلاثة مقاربات أساسية للمناهج التربوية:

1- المقاربة التقليدية (المقاربة بالمضامين):

وتقوم على التركيز على أساس المحتويات، فالنمط البيداغوجي بها تقليدي أي أن المدرس فيها هو أساس العملية التعليمية فهو يعمل على شرح الدرس، ينظم المسار، وينجز المذكرات، أما الطالب فهو مجرد متلقي فقط يسمع، يحفظ، يعيد ما حفظه، وبالتالي فالمتلقي يقوم بعمليتين: الأولى اكتساب المعرفة الجاهزة كما ونوعا، والثانية استحضار هذه المعرفة في حالة الاستجواب. هذه المقاربة أنتجت جيلا غير فعال بسبب أساليب التلقين والسلبية والجمود¹⁵.

وكان نتاج هذا الأسلوب من التعليم انتشار روح الاستهلاك داخل المجتمع واضمحلال قيمة العمل والإبداع والإنتاج، مما جعل الدولة تعتمد على الخارج في كل شيء من خلال سياسة الاستيراد التي أرهقت كاهل الخزينة العمومية وعادت بالسلب على الدخل الفردي للمواطن الجزائري.

2- المقاربة بالأهداف:

وهي حسب القاموس التعليمي الفرنسي: "بيداغوجية تحت على ربط الهدف المسطر بالعملية الإجرائية وإمكانية تحقيقه، ويوجد هناك هدف عام مقسم إلى أهداف ثانوية وتسعى كلها إلى تحقيق الهدف العام. وهذه المقاربة تعمل على تقسيم وقت المعلمين إلى كتل متتالية وصغيرة الحجم من أجل تحقيق كل هدف علمي"¹⁵ أي أن هذه المقاربة اهتمت بالجانب الإجرائي على حساب الجانب البيداغوجي والعمل على قتل الجانب النقدي في العملية التعليمية، حيث حولت الإنسان المبدع إلى إنسان إلي ومستهلك.

2-المقاربة بالكفاءات:

والتي ظهرت كبديل للمقاربة بالأهداف والأخذ بعين الاعتبار للحلقات المفقودة في التدريس الهادف وتصحيح النقائص التي وقع فيها هذا النمط من التدريس، كما أنها مقارنة ذات نظرة بعيدة لطرق التدريس وأنشطة التعليم وأسس التقييم التي تتمركز حول المتعلم لتجعل منه فاعلا نشطا يتعلم كيف يمارس تعليمه عن وعي¹⁵.

والمقاربة بالكفاءات هي: "تعبير عن تصور بيداغوجي ينطلق من الكفاءات المستهدفة في نهاية أي نشاط تعليمي أو نهاية المرحلة التعليمية لضبط إستراتيجية التكوين في المدرسة من حيث طرائق التدريس والوسائل التعليمية وأهداف التعلم وانتقاء المحتويات"¹⁵.

وهذه المقاربة جاءت على أنقاض حملات التشويه للمدرسة الجزائرية بتخريج وتفريخ الإرهاب، وتكريس الرجعية والتخلف، مما أجبر القائمين على المنظومة التربوية في الجزائر إلى انتهاج هذه المقاربة المبنية على أسس فلسفية معقدة تنطلق منها لتحقيق أهدافها كما أنها لم تحدد نموذجا، ذلك أنها بعيدة عن متطلبات هويتها في ظل العولمة وبالتالي تنتج عنها زعزعة الثقة العلمية والهوياتية داخل المنظومة التربوية للمجتمع الجزائري¹⁵.

وإذا ما أردنا حوصلة الحديث عن واقع التربية والتعليم في الجزائر فهو كغيره من القطاعات، يعاني من عدة أزمات، والسبب الرئيسي فيها يعود إلى سوء التخطيط التربوي، وعدم وضع إستراتيجيات تربوية مستقبلية، تقوم على تهيئة فرد متطور، قادر على صنع جزائر متطورة. فالتأمل في المناهج الدراسية في منظومتنا التربوية العربية بصفة عامة، والجزائرية بصفة خاصة سيجدها تنتصر لنوع من النصوص لأدباء وكتاب معينين قرأتها كل الأجيال العربية تقريبا، وبالتالي فالنظرة التربوية للبرامج التعليمية ما تزال نظرة سطحية عموما في الوطن العربي، وهي قد كرس نوعا من القراءة التقليدية، وبهذا فهي تُقوِّب فكر المتعلم في المراحل التعليمية المختلفة بما فيها المرحلة الجامعية، في قوالب جاهزة لا تُمكنه من الكشف والتحليل وإبداء الرأي¹⁵.

ومن ثم وجب على الجزائر وهي تواجه التحديات الراهنة المرتبطة بعصر العولمة، أن تعيد التخطيط لبرامج تربوية وفق استراتيجيات مستقبلية من شأنها تغيير طرق التربية والتعليم وجعلها أكثر معاصرة، من أجل مساندة التعليم العالمي، القائم على خلق وإنتاج فرد متعلما تعليما معاصرا، وحاملا لفكر متطور قادر على إقامة نهضة وتغيير وتنمية.

المطلب الثالث: أهم تحديات العولمة المرتبطة بتطور التربية والتعليم:

إنَّ خطورة التحدّيات التي جاءت في ركاب العولمة والقائمة على تذويب الفوارق الدينية وكسر الحواجز الاجتماعية ومحاولة إزالة الحدود الجغرافية لتسهيل مرور المعلومات وإشاعة أنماط السلوكيات الغربية ممّا يؤدي إلى تمبيع الثوابت العقديّة والأخلاقية، ومن ثمّ تحويلها إلى حرية مُطلقة في المعتقد، وبالتالي الوصول إلى الهدف الذي تسعى له العولمة، وهو زيادة معدّلات التشابه بين سائر الجماعات والمجتمعات، وذلك من خلال توحيد الرغبات والتطلّعات وطرق النظر إلى الذات والآخر، ومن خلال توحيد الأذواق والعادات الاستهلاكية.

إنَّ خطورة ذلك أنّ الذي يقود تلك العملية هو الطرف الأقوى في معادلة العولمة، ولذلك فإنّ مبادئه هي التي ستسود، وبما أنّ العولمة لا تسير في طريق واحد بل تمضي وبشراصة منطلقة في كل اتجاه منخطية كل الحواجز، فإنّ أثرها يعمّ جميع النواحي الدينية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، وينتج عن ذلك عولمة سياسية واقتصادية واجتماعية وتوجيهه للأفكار والثقافات.

وخطورة أخرى هي أنّ الأمم المتخلّفة أو المتوسطة التنمية هي التي تُذاب أو تذوب حين تخترقها العولمة. وحين تمضي قوافل العولمة الاقتصادية تنهب الطريق لمزيد من الضغط الاقتصادي على الدول الفقيرة، فإنّ المعادلة الاقتصادية تتقلب. فبينما كان الاقتصاد فيما مضى في خدمة العقيدة والسياسة والإستراتيجية، نجد في ظل العولمة قد أضحي ذلك كلّهُ في خدمة الاقتصاد.¹⁵

ونجد أنّ الجزائر واحدة من الدول التي تحاول التقدم، وهي جزء لا يتجزأ من هذا العالم، تتأثر بما يحدث في جنباته المترامية، كما أنّها تأثر في هذه الأحداث. وبالتالي يجب فهم ما يحدث في العالم وما ينتظر شبابنا من توقعات تؤثر في مسيرة حياته، في محاولة لتوضيح انعكاس هذه التحديات على التربية بوجه عام، وعلى مناهج التعليم بوجه خاص، ومعرفة هذه التحديات كيفية بالعمل على إيجاد البرامج والاستراتيجيات التي تواجهه وتجاها هذه التحديات بصيغة علمية مدروسة، ومن هذه التحديات نذكر ما يلي:

1- التحديات العلمية والتكنولوجية:

بما أنّ العولمة هي الوليد الشرعي لثورة المعلومات التي ظهرت مخلفاتها في الانتشار السريع والمباشر أحيانا للمعلومات وسهولة الحصول عليها، إضافة إلى نشر ثقافة كونية عبر انتقال الأفكار والترويج لثقافة عالمية تقود إلى زيادة معدّلات التجانس بين مختلف التجمعات.¹⁵

وتعتمد هذه الثورة التكنولوجية الثالثة أساسا على العقل البشري، وقدراته في استخدام وتشغيل الأجهزة الإلكترونية، وتطويرها، وتخزين المعلومات، وتنظيمها والاستفادة منها، ولأنّ العقل البشري هو أساس هذه الثورة فإنّ السبق والتقدم لن يكون حكرًا على الدول الغنية بمواردها المادية، أو القوية بجيوشها التقليدية، ولكنها فرصة لجميع الشعوب، إذا ما أحسنت إعداد أبنائها، وبناتها تربويا وتعليميا، واهتمت بتربية قدراتهم العقلية والفكرية¹⁵.

هذا يعني أن السبق سيكون من نصيب الدول التي تهتم أساسا بالتنمية البشرية، التي تقوم أساسا على تكوين وتعليم الأفراد وتنمية قدراتهم العقلية وتربيتهم، وجعلهم يتقبلون كل جديد بعقل واع ومنفتح، وناقد وإجادة اتخاذ القرار. وهذا لا يتأتى إلا إذا عملت المناهج وأساليب التربية والتعليم على تسليح الأفراد بنوع من التفكير والمعرفة، يساعدهم على ذلك، وهذا يتطلب تعليم الأفراد كيف يُعلمون أنفسهم، وهذا هو الإنسان القادر الذي سيجد له مكانا في القرن الجديد ويكون مؤهلا لمجابهة صنوف التحديات والرهانات التي تُطلَعنا عليها هذه العولمة وخاصة ما تعلق منها بجانب التربية والمنظومة التربوية في دول العالم الثالث.

2- التحديات الاقتصادية:

ويقصد بالعولمة الاقتصادية نشر القيم الغربية في مجال الاقتصاد مثل الحرية الاقتصادية وفتح الأسواق وترك الأسعار للعرض والطلب، وعدم تدخل الحكومات في النشاط الاقتصادي وربط اقتصاد الدول النامية بالاقتصاد العالمي، وتنعكس هذه الظاهرة زيادة حركة رؤوس الأموال وتفسح المجال واسعا أمام أصحاب رؤوس الأموال لجمع المزيد من المال¹⁵.

ومن خلال هذا كله تم التأسيس لما يعرف بمنظمة التجارة العالمية W.T.O. في 1995م، والتي تسمح بحرية التجارة الدولية ولا تفرض قيودا على ذلك، فبدأ كل تكتل اقتصادي العمل على حماية الإنتاج الإقليمي، ومنها حماية الدول الأعضاء ضمن هذه التكتلات، وهذا من شأنه تشكيل خطورة على الإنتاج العربي ومنه الجزائري. ويحدث كل هذا في ظل غياب أي تكتل اقتصادي عربي أو وجود شركات عربية كبرى اقتصاديا بإمكانها الوقوف تجاه هذه الظواهر الاقتصادية الدولية.

وهنا نتساءل: كيف يمكن للنظام التربوي والتعليمي في الجزائر أن يتصدى لحل هذه المشكلات، وأن تساير هذه التحركات الاقتصادية في العالم؟

إن التحدي الأساسي أمام المناهج الدراسية اليوم هو إيجاد طرق، وخطط، وبرامج تعليمية، تستطيع أن تحول المعلومات المدرسية إلى كفاءات ومهارات عملية، وتنمية قيمة العمل واحترامه، والقدرة على حل المشكلات وتنمية الفكر. وبالتالي فوظيفة التربية هي مساعدة الفرد على امتلاك روح المبادرة، والثقة بالنفس، التي تساهم في نجاحه عمليا، ولهذا يجب " على المدارس أن تنتج منتجين للعمل، بدلا من أن تنتج طالبي عمل، ولعل الأخذ بهذا الاتجاه هو مفتاح حل مشكلات البطالة في عصرنا، ومفتاح التنمية الاقتصادية كلها"¹⁵.

وهكذا فالتربية والتعليم تسهمان في خلق ثروة بشرية فعالة قادرة على أن تلعب دورا كبيرا في التنمية، فأساس المدرسة هو تخريج طلاب يملكون الرغبة والقدرة والاستعداد للتعلم المستمر.

3- التحديات الثقافية والاجتماعية:

العولمة الثقافية هي غزو ثقافي يمس ذاتية الأفراد والأمم، وتحمل خطابا ثقافيا خاصا لشعوب العالم مفاده انه لا مجال للتعدد الثقافي، إنما البقاء للثقافة المعولمة المهيمنة على كل الثقافات. وتتميز العولمة الثقافية باحتكار المعلومات ووسائل الاتصال العابرة للحدود الوطنية للشعوب وللحدود الشخصية للأفراد¹⁵.

والمجتمع الجزائري على غرار باقي المجتمعات، تحكمه مجموعة من النظم السياسية، والاقتصادية، والتشريعية، والثقافية، والطبيعية، والأسرية... الخ وتتعرض العلاقات الاجتماعية للأفراد داخل المجتمع لعوامل ومؤثرات داخلية وخارجية، تؤثر على طبيعة العلاقات، حيث تحوّل العالم إلى قرية كبيرة بفضل عوامل الاتصال، وسرعة الانتقال، ومن أبرز العوامل الاجتماعية المؤثرة في التنمية والتطور: "معدلات النمو السكاني، وشكل وبنية الأسرة وأدوارها والتركيبية العمرية لأفراد المجتمع، ونوعية القيم الاجتماعية السائدة"¹⁵.

إن مشكلة التزايد السكاني في العالم عموما، وفي الوطن العربي خصوصا، وفي الجزائر بشكل أخص، تجعل معدل النمو السكاني يتفوق على معدلات التنمية، وهذا التزايد سيلتهم الموارد، ويضعف النمو الاقتصادي، ويخفض من مستوى الخدمات، وعلى هذا الأساس، ينخفض مستوى التعليم ويتدهور. ومن أهم التحديات الاجتماعية التي سنواجهها في السنوات المقبلة هو التغيير الواضح في منظومة القيم في المجتمعات الصناعية المتقدمة، وتأثير ذلك على منظومة القيم في المجتمعات النامية، بين الأخذ بهذه القيم الوافدة، ورفضها، افتقنا هويتنا وضيعنا معالم الطريق.

أما بخصوص إمكانية مقاومة زحف هذه العولمة الثقافية فيدعوا البعض إلى الممانعة الثقافية عبر المقاومة الإيجابية؛ وذلك عن طريق استعمال الأدوات نفسها التي تحققت بها الرجاحة الثقافية للعولمة، كما أشاروا إلى إمكانية الاستفادة من نظريات علم الاجتماع الثقافي التي تؤكد على أن فعل العدوان الثقافي غالبا ما يستتعض نقيضه وهذا نوع من أنواع الممانعة الثقافية¹⁵.

4- التحديات البيئية والصحية:

إن مشكلة التزدي البيئي من أهم المشكلات المعاصرة، التي يواجهها العالم بأسره، والجزائر بدورها تعاني من مشكلة التلوث البيئي، فانتشار التلوث هو مشكلة عالمية، ومن أسبابه التزايد السكاني، والاستغلال الغير معقول للطبيعة، وزيادة النفايات، وسوء تصريفها، وكذلك الاستخدام غير المنظم للمواد الكيميائية الضارة، ووقوع الحوادث الصناعية... إلخ. وجميع هذه العوامل ساهمت في التلوث البيئي سواء كان مائي أو بري أو جوي، إضافة إلى ظاهرة الجفاف والتصحر التي تهدد المساحات الخضراء. فالأحرى بنا إقامة توعية بشرية تجاه النظام البيئي، للحد من هذه المشاكل التي تنعكس حتما على حياة الإنسان ومن أجل هذا يجب أن توفر مناهج التربية والتعليم المعلومات تعمل على نشر الوعي الكافي، وتنمية القدرات والبواعث، التي تجعل الفرد يساهم في الحفاظ على البيئة. وفي هذا المجال عملت الجزائر على إنجاز السد الأخضر للحد من التصحر، ولكن لا بد من التوعية الشاملة بهذا الصدد.

وفي مجال التحديات الصحية فقد " ساد شعار الصحة للجميع، تلك الصحة الشاملة التي تُسهم فيها وتعززها التربية للجميع" ¹⁵ . فلا بد من الصحة من أجل التعليم. والصحة بدورها هي مسؤولية جماعية لمؤسسات متعددة مثل الأسرة والمجتمع والمدرسة، ولابد من الاتحاد بين هذه الأطراف من أجل ضمان الصحة، وعليه يجب برمجة خطط صحية موجهة للأسرة، من أجل التوعية، وتجنب الأمراض، ثم يأتي دور المناهج الدراسية لتوعية الأطفال، وتعريفهم بالقيمة الصحية. ومما سبق، نلاحظ أن هدف التربية ومادتها لا بد أن يكون التنمية البشرية، حيث أن الإنسان هو المنوط بمواجهة تحديات المستقبل، والعمل على توجيهها، بما فيه مصلحة له و لوطنه.

وبالتالي يجب على الجزائر أن تجعل لنفسها مكانة بين الدول، وهذا طبعاً لا يأتي إلا من خلال برمجة التربية والتعليم وفق متطلبات العولمة، التي أصبحت مرهونة بمدى تكوين شخصية الفرد، وتنميتها تنمية واعية قادرة على صنع فرد منتج، من شأنه تطوير الوطن، فرد ينتمي إلى بلد متطور.

خاتمة

من أكثر الأنظمة أهمية فيما يتعلق بمواكبة العولمة هو النظام التربوي. إذ أن التعليم يعتبر أساساً في الحفاظ على الثقافات الموروثة وتنميتها وفتح الآفاق للتقدم والرفق. فالمنهاج العلمي قبل كل شيء مرتبط بالأهداف التي يستطيع المجتمع تحقيقها. ومن ثم فإن التعليم هو من أهم الأسلحة لمقاومة الآثار السلبية لظاهرة العولمة وخاصة في المجتمعات العربية والإسلامية. ولذلك يجب تطوير التعليم وتقديم الحلول الناجعة التي تجعله قادراً على مواجهة تحديات العولمة المختلفة.

وبناء على ذلك، فإننا يمكن أن نخلص إلى النتائج والتوصيات التالية:

- 1- ضرورة وضع مخطط تربوي شامل، يتماشى ومتطلبات العصر ويحتوي على إستراتيجيات معاصرة من شأنها خلق تنمية بشرية.
- 2- يجب الانتقال من الكم إلى الكيف، ومحاولة المقارنة بينهما.
- 3- الانتقال من المحلية إلى العالمية، بمعنى تجهيز فرد جزائري بمميزات عقلية عالمية.
- 4- التركيز على فكرة رأس المال البشري والثقافي، فالإنسان المتقن يعتبر ثروة اجتماعية من شأنها تطوير المجتمع.
- 5- التخلص من الطرق التقليدية التعليمية ومحاولة وضع طرق جديدة تتماشى وروح العصر.
- 6- حاجة المخطط التربوي لأن يكون على وعي تام بفلسفة ونظام واضح المعالم، لكي يعيش المناخ الذي يحياه كل من (المعلم والتلميذ ومدير المدرسة وولي الأمر من جهة، ومديري التربية والمسؤولين بالوزارة من جهة أخرى)،

بحثا عن بيئة تربوية جديدة يحيا فيها مهندس الإنتاج (معلم) بمصانعنا التربوية نحو الابتكار والتجديد، لخلق رأس مال بشري جزائري قادر على مواجهة تحديات العصر.

كان هذا باختصار عرض موجز عن التربية والتعليم في الجزائر ورهانات العولمة، حاولت من خلاله إعطاء صورة عن واقع التربية والتعليم في الجزائر، وعرض أهم رهانات العولمة وتحديات العصر، التي بموجبها يجب تطوير التربية والتعليم من أجل خلق شريحة متعلمة تعليما معاصرا بإمكانها مواجهة التحديات الراهنة والمضي قدما بالجزائر لجعلها تواكب الركب الحضاري العالمي.

المصادر والمراجع

- 1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- 2- أبو منصور: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.
- 3- بن رواق جميلة: تأهيل المعلم في ضوء الإصلاحات التربوية الجديدة في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 13، ديسمبر 2013م.
- 4- توماس فريدمان: السيارة لتكساس وشجرة الزيتون في محاولة لفهم العولمة، ترجمة ليلي زيدان، الدار القومية للنشر والتوزيع، القاهرة 1999م.
- 5- جدي مليكة: المنظومة التربوية في الجزائر من المقاربة بالأهداف إلى الكفاءات الشاملة، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، جامعة الجزائر3، العدد7، مارس 2017م.
- 6- حاتم حميد محسن: الموجز في العولمة، كيوان للطباعة والنشر، ط1، 2008م.
- 7- حسن حسين زيتون: التدريس - رؤية في طبيعة المفهوم، دار عالم الكتب، ط2، 2004م.
- 8- دهيمي زينب، رحمانى نعيمة: مداخلة بعنوان: الثقافة المحلية بين واقع الغزو العولماتي وإسعافات المواجهة، الملتقى الوطني الثالث حول الهوية والعولمة، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة، الجزائر.
- 9- زغو محمد: أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، 2010م.
- 10- سليمان صالح الخراشي: العولمة، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1420هـ.

- 11- شادية بن يحيى: التربية والتعليم في الجزائر ورهانات العولمة، مقال منشور في موقع :
<https://www.nfaes.net>
- 12- عامر رضا، حوامد كريمة: العولمة وأثرها السلبي على منظومة قيمنا التربوية، أشغال الملتقى الدولي الأول: العولمة والتربية الفرص والتحديات يومي 09-10 ديسمبر 2012م.
- 13-عباس أبو شامة، محمد الأمين البشري: العنف الأسري في ظل العولمة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ط1، 2005م.
- 14-عبد القادر تومي: العولمة فلسفتها، مظاهرها، تأثيراتها، كنوز الحكمة، الجزائر، ط2009، ص1، ص18.
- عبد الكريم بكار: العولمة، طبيعتها، وسائلها، تحدياتها، التعامل معها، المملكة الأردنية الهاشمية، ط3، 2013م.
- 15-عبد الكريم بكار: حول التربية والتعليم، دار القلم، دمشق، ط3، 2011م، ص155.
- 16-علي بن نايف الشحود: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، د.ط، د.ت.
- 17-علي عقلة عرسان: الأسبوع الأدبي، دمشق، العدد 602، 1998م.
- 18-فايز مراد دندش: معني التعلم وكنهه من خلال نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2003م.
- 19-كوثر كوجك: اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس ، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2001م.
- 20-مبروك محمد إبراهيم وآخرون: الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية، القاهرة، 1999م.
- 21-محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1997م.
- 22-محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999م.
- 23-نصيرة سالم، تالي جمال: الإصلاحات التربوية في الجزائر، مجلة دفاتر المخبر، جامعة بسكرة، العدد1، المجلد7، أبريل، 2012م.